مستقبل زيارة الأربعين في ظل التحديات والتهديدات والفرص

الباحث: هادي حسن شويخ

أمين عام مؤسسة آشور للتنمية وحقوق الإنسان – واسط

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم.

إن تحدثنا عن سيد الشهداءعليه السلام فإننا نتحدث عن الرسول الأكرم لأنه امتداد للسيرة العطرة والصفات التي خصها الله به للرسول الأكرم، وما أعظم هذا التكريم الذي لم يضح به أحدٌ من قبل لقد استودع رسول الأمه والإنسانية كل صفاته في الإمام الحسينعليه السلام وأتمنه على دين الإنسانية وما أعظمها من أمانة في رقبة الإمام الحسين سينحرها في سبيل نصرة الدين، وما أعظمها وما أحلاها من أمانة سيوفيها بدمه الشريف. لا يقاس الحسينعليه السلام بالثوار، بل بالأنبياء ولا تقاس كربلاء بالمدن، بل بالسماوات ، ولا تقاس عاشوراء بحوادث الدهر، بل بمنعطفات الكون ، مع الحسينعليه السلام كل هزيمة انتصـار ، وبدون الحسينعليه السلام كل انتصار هزيمة ، لأن قصة عاشوراء لم تكتمل فصولها، فإن (كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء).

لقد كانت ومازالت التحديات والتهديدات أكبر وأكثر منذ مسيرة الإمام الحسينعليه السلام من المدينة المنورة إلى كربلاء، وهي إلى الآن تأخذ أبعاداً وأشكالاً مختلفة، فالاستكبار العالمي وقوى الظلام التي خرج الإمام لمقاتلتها مازالت جاثمة على شعوب الأرض تنهب مقدراتها، وعصابات داعش التي مازالت تمثل تهديداً مباشراً لكل زيارة أربعين للإمام الحسينعليه السلام، ومازالت تتربص بالحشود المليونية المتجهة صوب قبلة الشهادة مستخدمةً كل الأساليب الاجرامية للنيل من المؤمنين الزائرين بأي صورة. وكذلك الإعلام العالمي المسيس الذي يحاول تشويه هذا التجمع الإيماني عبر تقارير مفبركة لا تمت للواقع بصلة، وبرغم نجاح كل الزيارات في السنوات السابقة التي وصلت أعدادها إلى أرقام مليونية تجاوزت العام الماضي أكثر من ٢٢مليون زائر إلا أنها مازالت تواجه تحديات كثيرة على جميع المستويات اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً، غير أنَّ الجموع المليونية وفي كل زيارة تذوّب هذه التحديات الكبيرة أمام هذا الزحف المليوني الذي تنتهي فيه كل الفوارق الطبقية والعرقية أمام الهدف الأسمى. لقد أدت زيارة الأربعين منذ انبثاقها وحتى الآن وستؤدي ذلك في المستقبل، وظيفتها الأساسية وهي المحافظة على التواصل وتجديد العهد بين الشيعة والإمام الحسينعليه السلام.

إن لزيارة الأربعين دوراً مهماً في تحريك الجماهير نحو الأهداف السامية التي مثّلها الإمام الحسينعليه السلام

وثار من أجلها وهي قيم الإيمان والحرية والعدالة والإنسانية، لذلك نحن نحتاج إلى أن تكون الزيارة عملاً ثقافياً توجيهياً وتوعوياً لإرشاد الناس، واستثمار العواطف الجياشة لتعريفهم بكل تلك القيم. فماهي الأدوار والمسؤوليات التي تقوم بها أصناف متعددة من المجتمع في مثل هذه الزيارات، وخصوصاً زيارة الأربعين التي تمثل محطة إيمانية كبيرة لكافة المسلمين.

أن الصفات الإنسانية للإمام الحسين عليه السلام في كل تفاصيل حياته لدلاله واضحة على إنسانية وعظم أفكاره لخدمة الإنسانية وصفاته الإنسانية التي قلَّ نظيرها، ومع كل ذلك نجد أن تغيباً واضح للسيرة العطرة غير مقصود والتركيز على واقعه الطف بكل التفاصيل مع عدم ادارك ومعرفة الأجيال لهذه السيرة المعطاءة لسيد الشهداء. وان الإمام سيد الشهداء لم يكن إماماً للشيعة فقط بل لكل الانسانية وفي كل مكان وزمان وان اغلب قادة العالم ومفكريه كانوا يعتبرونه أماماً للثوار وسيداً للشهداء ومصباحا للهدى ضد الظلم والظالمين ومنبعاً للفكر الإنساني من خلال صفاته الإنسانية وتعامله مع الرعية في كل زمان ومكان بكل خلق الأنبياء والمصلحين قبل أن يكون إماماً معصوماً واجب الطاعة.

فمن أجل أن نكون حسينيين بامتياز علينا أولاً أن نعيد صياغة علاقتنا بالسيرة الحسينية العملاقة، ففي هذه السيرة من المفاهيم والأسس والمبادئ ما بوسعها أن توحدنا وتنتشلنا من واقعنا الحاضر (المخيف) الذي يعج بالتخلف والفساد والفشل وسرقة المال العام والضعف أمام الأعداء والتفسخ الخلقي المريب إلى واقع جديد نستطيع من خلالها اللحاق بمن سبقنا، وفي ذلك الوقت (وحده) نكون قد ضمنَّا (شفاعة الحسين عليه السلام) وشفاعة جده وأبيه وأمه البتول، أما إذا اكتفينا بالشعائر ونحينا جانباً كل تلك المبادئ التي استشهد من أجلها ففي ذلك مظلمة للحسين المصلح الشهيد ولثورته.

إن زيارة الأربعين لها القدرة على نقل الملحمة الحسينية بأمانة للأجيال فإنها امتداد لتلك المسيرة العطرة الإنسانية للإمام الحسين عليه السلام في كل حياته وهو ميراثنا لكل الأجيال ودروس منها العبر في خدمة قضايا الأمة. وان دوره مازال ماثلاً في نقل الحقائق للمسيرة والدروس الحسينية لكل الأجيال وان الدور الحقيقي لم يقتصر على قضايا الدين فقط بل إلى كل القضايا التي تهم حياة الإنسان في العصر المعاصر وتقدم كل النصح والإفادة في خدمة قضايا آلامه والعالم أجمع مستلهمة من القرآن الكريم والسير العطرة للأئمة المعصومين الدروس والعبر في خدمة كل قضايا الإنسانية جمعاء. وبرغم كل التحديات والتهديدات ما زالت زيارة الأربعين تجدد العهد والوفاء على البقاء على نهج إمامنا الحسين عليه السلام.

ونستنتج بأنه يمكن أن تشكل الزيارة فرصة كبيرة للعديد من الأمور الايجابية التي لو استثمرت بشكل جيد لتغيرت الكثير من المفاهيم للعديد من المسلمين وغير المسلمين عن الإسلام وثورة الإمام الحسين عليه السلام وهي:

١. القيام بفعاليات غير تقليدية في يوم زيارة الأربعين للجاليات العربية والاسلامية في البلدان الغربية مثل (التبرع بالدم، توزيع المواد الغذائية على العوائل الفقيرة والمحـــتاجة، محاضرات بكل اللغات حول عالمية ثورة الإمام الحسين عليه السلام.
٢. نقل زيارة الأربعين من حدث محلي مذهبي إلى حدث عالمي إسلامي ومناسبة للتسامح والتقارب بين الشعوب في جميع أنحاء المعمورة.
٣. مناسبة لتوحيد الرؤى الاسلامية والخطاب

الإسلامي المعتدل ومناسبة لجميع المذاهب الاسلامية المعتدلة في التوعية للأفكار والأطروحات الاسلامية التي تخدم في جميع مفاصل الحياة (الإسلام يقود الحياة).

٤. زيارة الأربعين مناسبة للتشجيع على ممارسة البذل والعطاءالانساني والعـــمل الطوعي في نفوس أبناء المجتمع والشباب خاصة من اجل روح التضحية والتكافل خاصة في مجال خدمة زوار الإمام الحسين عليه السلام، ودعم مقاتلي الحشد الشعبي في قتالهم لداعش وغيرها من الفصائل الإرهابية.

٥. الزيارة مناسبة لتوحيد المفاهيم الإنسانية بين كل الأديان كونها تجتمع جميعاً في أن هناك مخلصاً للبشرية بعد الظلم والجور الحاصل في جميع اصقاع الأرض.

التوصيات:

١. التأكيد على الدور الكبير لزيارة الأربعين في نشر المفاهيم والقيم الاسلامية السمحاء التي تأثرت كثيراً وخاصة بعد ظهور عصابات داعش مثل توزيع الفولدرات والكتيبات حول أهمية الزيارة مع ترجمتها إلى العديد من اللغات.

٢. توفير كتيبات إرشادية مع الخرائط للعراق بصورة عامة ولكربلاء بصورة خاصة عن كل الأماكن فيها وبأكثر من لغة أثناء زيارة الأربعين.

٣. الاستثمار الجيد لزيارة الأربعين في التوعية الدينية العامة للمسلمين وخاصة الأجانب منهم بالتعريف بالإمام الحسين عليه السلام سيرة حياته، إمامته وليس فقط مقتله.

٤. استثمار زيارة الأربعين في محاربة الخرافات الدخيلة على الدين الإسلامي بصورة عامة وزيارة الأربعين خاصة والاستثمار الجيد للزيارة في محاربة الظواهر المجتمعية مثل الفساد كونه ظاهرة أضرت كثيراً بالبلد.

٥. نقل وقائع خطابات المنبر الحسيني وخاصة في أيام عاشوراء وفي كل المناسبات نقلاً مباشراً من الفضائيات المعتدلة كونها تنقل رسائل مهمة للمجتمع مع التأكيد على الخطابات المعتدلة للخطباء التي تنفع الأمة بدلاً من أن تفرقها.

٦. تشكيل غرفة إعلام موحدة خاصة بالزيارة فقط للمساعدة في توجيه الرأي العام الداخلي والخارجي وتقديم كل المعلومات الخاصة بالزيارة أولاً بأول وتكون هي المصدر لكل المعلومات الوثيقة (أعداد زائرين، حوادث، توجيهات)

٧. تشكيل صندوق خاص للزيارة للمتبرعين من أجل زيادة الخدمات وخاصة البلدية ما بعد انتهاء الزيارة.

٨. زيادة أعداد المتطوعين للخدمة أثناء زيارة الأربعين.

٩. العمل على إعداد مدن خاصة مؤقتة للزيارة قريبة من الضريح الطاهر مع توفير وسائل نقل خاصة بها (نصب خيم كبيرة وسرادق منظمة مع ترقيمها) مع الإرشادات للوصول إليها بأكثر من لغة.

١٠. تأسيس مراكز دراسات واستطلاع رأي من أجل دراسة الظواهر الاجتماعية المتميزة بعد كل زيارة من أجل استثمارها لخدمة القضية الحسينية.